وثيقتان تاريخيتان في تاريخ الدولة السعودية

محمد امين التميمي

المستشار بدارة الملك عبد العزيز

ذكر المؤرخ الشهير الثقة الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر ، مؤلف كتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد » ، وهو المرجع العربي الوحيد لتاريخ الدولة السعودية حتى سنة ١٢٦٨ هـ ، ذكر ان رجلا قيل انه كردى من أهل العمادية بلد الاكراد المعروفة عند الموصل ، اسمه عثمان ، قد اغتال الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، ثاني حاكم في الدولة السعودية الاولى ، بطعنة بخنجره في أبهره أو في خاصرته ، بينما كان ساجدا لصلاة العصر بمسجد الطريف بالدرعية ، في العشر الاواخر من رجب سنة ١٢١٨ (أواسط نوفمبر سنة ١٨٠٣ م) ، وأنه برك على أخيه عبد الله بن محمد بن سعود ليطعنه ، فنهض عليه وتصارعا ، وجرح عبد الله جرحا بليغا ، ثم أن عبد الله صرعه وضربه بالسيف ، وتكاثر عليه الناس فقتلوه ٠

ولم يذكر ابن بشر عن صفة هذا القاتل الا أنه اقبل من وطنه لهذا القصد محتسبا حتى وصل الدرعية في صورة درويش ، وادعى أنه مهاجر ، وأظهر التنسك بالطاعة ، وتعلم شيئا من القرآن ، فاكرمه عبد العزيز واعطاه وكساه ، وطلب من يعلمه اركان الاسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ٠

أما الدوافع التي دفعت القاتل على ارتكاب هذه الجناية الفظيعة او المحرض له على ارتكابها فلم يذكر ابن بشر شيئا عن ذلك وان كان ابن بشر نقل العبارة الاتية قائلا : « وقيل أن هذا الدرويش الذى قتل عبد العزيز من أهل بلد الحسين خرج من وطنه لهذا القصد » ، فدرج على السنة الناس أن الدوافع هي حادثة كربلاء ، وان القاتل أراد الانتقام لها ٠ أما المحرض فظل اسمه مجهولا ، وبقيت المعلومات عن هذا الحادث مبتورة ، لان الجاني قتل في مكانه ، فلم تتهيا اسباب التحقيق معه للوقوف على اسم المحرض أو الدوافع الحقيقية لارتكاب هذه الجريمة ٠

وهاهي ذى الايام ، بعد مائة وسبع وسبعين سنة ـ تكشف حقائق تاريخية هامة عن حقيقة أسباب الدوافع وعن اسم المحرض ، مما يشبع نهم الباحثين ويطفيء ظمأ المدققين في حوادث التاريخ فيبادرون الى تصويب المعلومات الواردة في كتب التاريخ خصوصا ما كان منها مقررا لتدريس مادة التاريخ في المدارس والمعاهد والجامعات .

وجاء هذا الاكتشاف التاريخي الهام ، عن طريق الوثائق التاريخية المحفوظة في دور الحفظ التركية في استانبول ، تلك الوثائق المتضمنة تاريخ الدولة العثمانية التي استقر سلطانها ستة قرون واستمر حكمها لبلاد العرب أربعة قرون ، والوثائق هي أصدق مصدر وأعذب منهل للتاريخ الصحيح . وقد عنيت حكومة جلالة الملك المعظم بأمر جمع مصورات الوثائق التاريخية من جميع انحاء الدنيا لتكون في متناول ايدى المحققين من العلماء والباحثين النزهاء . وذلك بفضل تشجيع العاهل العظيم المغفور له فيصل بن عبد العزيز رحمه الله الذى اقتنع بالفكرة ، وبادر الى اصدار مرسوم ملكي باقامة مؤسسة مستقلة ذات شخصية إعتبارية باسم « دارة الملك عبد العزيز » لتكون مركزا للبحوث وموردا للباحثين وقصرا للوثائق .

وهاهي ذى دارة الملك عبد العزيز ـ ولما يمض على انشائها غير بضع سنوات ـ قد حوت حتى الان ، مصورات مايقرب من عشرة آلاف وثيقة انكليزية وخمسة آلاف وثيقة تركية بحثتها وصورتها وجمعتها في انتداباتي العديدة من قبل وزارة المعارف قبل انشاء الدارة ، ومن قبل الدارة بعد انشائها ، وأمام دارة الملك عبد العزيز جهد كبير وجهاد مرير ، لاستكمال جمع مصورات الوثائق التاريخية من تركيا وأنكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا ومصر والعراق وايران والهند والباكستان وغيرها من البلدان ، ولكن تركيا تظل هي أغنى دولة تملك الوثائق الهامة عن بلاد العرب ، والذى حصلت عليه منها حتى الان انما هو قطرة من بحر ، ولكن اذا استمر بذل الجهد وأعد المتخصصون في البحوث فستجمع مصورات الوثائق من جميع تلك البلاد مع الزمن ، وستصير دارة الملك عبد العزيز أغنى مركز في العالم للبحوث التاريخية العربية والاسلامية ان شاء الله ، وكل من سار على الدرب وصل .

وسأتابع ـ بين الفينة والفينة ـ نشر بعض ما جمعته من وثائق توضح بعض غوامض التاريخ أو تصوب بعض معلوماته ، أو تصحح خطأ المؤرخين خصوصا ما ورد منها بشأن دعوة الاصلاح الديني في جزيرة العرب على يد المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب جزاه الله عن الاسلام خيرا ، وبشأن الدولة السعودية التي أيدت تلك الدعوة بزعامة الامام محمد بن سعود غفر الله له .

وفي هذا المقال ، انشر وثيقتين هامتين مع تعريبهما ، تتصل أولاهما بحادث اغتيال الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وهي عبارة عن خطاب ارسله على باشا الداماد والي بغداد الى الباب العالي ، بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢١٨ هـ (٤ ديسمبر سنة ١٨٠٣ م) يوضح فيه السبب الدافع الى ارتكاب الجريمة ، ويعزوه الى استياء الجاني من ضم السعوديين للحجاز في ذلك العام ، ويصرح فيه بانه هو الذى حرض الجاني وأغراه على ارتكابها ، لما رأى منه استعدادا وتحمسا للانتقام من عبد العزيز وابنه سعود بقتلهما معا ٠

وجدير بعلي باشا الداماد أن يحرض الجاني ويغريه ، لان عوامل الحقد والكراهية وحب الانتقام تعتمل في نفسه بسبب هزيمته في جميع المعارك التى تقابل فيها مع سعود بن عبد العزيز في الأحساء وغيرها قبل حادثة كربلاء ، وكانت النية متجهة في البداية الى قتل سعود وأبيه ، ولكن الجاني لم يظفر بسعود وظفر بأبيه البالغ من العمر آنئذ خمسا وثمانين سنة ، وعلى باشا الداماد والى بغداد يصف الجاني بانه مجاهد في سبيل الله ، وأنه استشهد طلبا لمرضاة الله ، ويستشهد على ذلك بقول الله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بماآتاهم الله منفضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون) ٠

أما الوثيقة الثانية فهي خطاب سليمان باشا وكيل والي بغداد الى الباب العالي بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٢٢ هـ (٢٠ أغسطس سنة ١٨٠٧ م) ، ينبئه فيها حادث اغتيال علي باشا الداماد والي بغداد ، في مسجد قصره أثناء سجوده لصلاة الفجر ، بطعنات من خناجر خواص خدمه ، يوم الرابع عشر من شهر جمادى الاخرة سنة ١٢٢٢ هـ (١٩ اغسطس سنة ١٨٠٧ م) بعد اربع سنوات من تاريخ اغتيال الامام عبد العزيز ، وبنفس الطريقة التي اغتيل بها ٠
وهكذا يصدق القول بأن الله تعالى « يمهل ولا يهمل » ، والقول بأن « الجزاء من جنس العمل » ، وقولهم : « بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين » ٠
ولله في خلقه شئون ٠

واعود الى الوثائق ٠٠ لاقرر ، اقرارا للحق ، ووضعا للامور في مواضعها : ان الوثائق التركية التي نشرها الدكتور منير العجلانى في كتابه (تاريخ البلاد العربية السعودية ، الجزء الاول ـ القسم الرابع والاخير ، عن عهد عبد الله بن سعود) ،

أنا الذى اعطيتها اليه برغبته وبامر معالي وزير المعارف ليطلع عليها ويقتبس عنها ، وكانت ضمن أول مجموعة احضرتها من تركيا في أول انتداب لي اليها لبحث الوثائق وتصويرها ، وليس صحيحا ما ذكره في الصفحة ٢٨ من كتابه ذاك من زعمه انه أول مؤلف عربي كشف عن الوثائق العربية والتركية المحفوظة في استانبول مما يتصل بالتاريخ السعودى ، او أن معالي وزير المعارف أخذ برأيه فبدأ ينتدبني لبحث الوثائق وتصويرها ، بل كنت انتدب قبل ذلك لهذا الهدف بناء على اقتناع أولياء الامر بفكرة جمع الوثائق قبل ان يبتدىء الدكتور منير العجلاني ، وليست هذه أول هفوة يهفوها نحوى الدكتور منير العجلاني ، فقد نقدني في القسم الاول من الجزء الاول من كتابه نقدا خارجا عن حدود اللياقة ، لم يلبث ان اعتذر عنه في مجلس معالي وزير المعارف ، واعدا بايضاح ذلك في القسم التالي من الكتاب وصدر القسمان الثاني والثالث دون أن يضمنهما اعتذاره ، وفي القسم الرابع زاد الطين بلة واعمى العين التي اراد تكحيلها بادعاءات لا صحة لها سامحه الله ، وهو رجل في غاية الادب والتواضع الجم والمجاملة ، مما يدفعني الى حسن الظن به ، والى اعتبار هذه الهفوات غير مقصودة ، ولكن القلم يشط احيانا بصاحبه فيقسو دون مبرر سامحه الله مرة اخرى ·

اما الحقيقة فهي في اعتقادى اني أول باحث عربي سمحت له الحكومة التركية ببحث وتصوير الوثائق ، ولا أزال ابحث وأصور ، وساظل أبحث وأصور بقية عمرى باذن الله ، واكثر من ذلك فاني أول عربي اشتغل في ترجمة الوثائق التاريخية التركية بدار المحفوظات العمومية بالقاهرة خمسة عشر عاما متواصلة من جمادى الاخرة سنة ١٣٥١ الى ربيع الاول سنة ١٣٦٦ هـ (١٢ ستمبر سنة ١٩٣٢ الى اواخر يناير سنة ١٩٤٧ م) وعن طريق تلك الوثائق ، وفقني الله الى تصويب كتب التاريخ المقررة في المدارس المصرية عن الحروب الوهابية ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥ م) ، وذلك بفضل اهتمام الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا وزير المعارف آنئذ رحمه الله ، وأعتقد ان الدكتور منير العجلاني ، لم يكن في ذلك التاريخ ، قد اتم دراسته الثانوية ·

وأعود فارجو ان يوفق الله المتخصصين المتنافسين الى توجيه تنافسهم لمصلحة العلم المتخصص فيه وليس للمصلحة الذاتية والاغراض الشخصية ، هدانا الله جميعا سواء السبيل ·

محمد امين التميمي

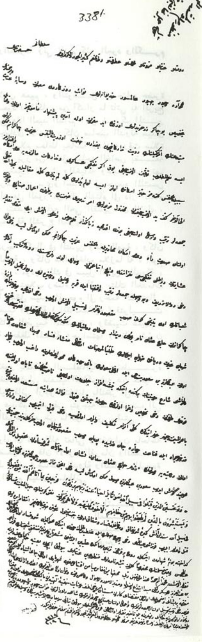

3381

سلطانم حضرتلری

دولتلو عنایتلو مروتلو شفقتلو عاطفتلو ولی نعمتم کثیر الجود والکرم افندم

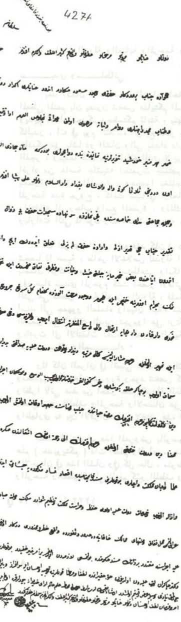

4274

سلطانم

دولتلو عنایتلو مرحمتلو عاطفتلو ولی النعم کثیر اللطف والکرم افندم حضرتلری

حضرة صاحب الدولة والعناية والمرحمة والعطوفة ولي النعم كثير الجود والكرم

سيدى وسلطاني

بعد اكمال أداء واجب الدعاء باخلاص عميم ، والتوسل الى جناب حضرة المعطي المنعم بأن يصون شخص عنايتكم المسعود ذا المكارم من أكدار ما تأتي به الريح ويديم أطناب مجدكم وعظمتكم ثابتة ، ينهى هذا العبد الدائم ، الى ضميركم المنير كالبدر ، أنه في يوم الثلاثاء الرابع عشر جمادى الاخرة ، كان صاحب الدولة سيدى خادمكم على باشا ذو الشأن والي بغداد دار السلام محاطا بخاصة جماعته وقت صلاة الفجر ، وبينما كان ساجدا لله الذى لا يزول برز من داخل جناحه الخاص بضعة أفراد من خاصة حاشيته اختمرت جبلتهم بخميرة الخبث والخيانة وعجنت مضرتهم بخميرة النفاق والمفسدة ، وهجموا بخناجرهم على برىء أحدثوا في جسده الملتمس للرحمة عدة جروح ، كانت سببا في ارتحاله على الفور من دار الفناء الى دار البقاء وانتقاله الى رحاب واسع المغفرة ، وذلك بتقدير جنابه الحي القدير ذى الازل ، وبارادته التي لما تزل وقد ختمت خزينته بمعرفة الشرع الشريف .

أما المرحوم المشار اليه فقد كان في درجة الكمال في التدين وعلو الهمة ، وكان شخصا ذا حمية ، طاهر الاخلاص للدولة العلية ، وكان هذا الخادم ملازما له ، أقوم بأعمال الوكالة عنه بقدر استطاعتي وامكاني ، مؤديا ذلك في سبيل الدين والدولة ، وفي حياة سيدى المرحوم كنت أحصر اوقاتي لاستجلاب رضاه ، وأقوم بتلك الخدمات التى هي محض خدمة للدين والدولة ، فلما انتقل سيدى المرحوم الى رحمة الله تعالى أسند الي جمهور العلماء وأعيان البلاد منصب الوكالة (القائمقامية) فتوليت القبض على أولئك الذين تجرءوا على ارتكاب الجريمة المذكورة ، وقضيت عليهم ، وبادرت الى الالتفات لخدمة الدولة العلية بحفظ المملكة وحراستها وتنظيم شئون البلاد والعباد .

ولما كان العراق في أقصى الحدود والثغور بالممالك السلطانية ، وخطره ومحاذيره واضحة وضرورة وجود شخص كفء يتولى منصب الحاكم فيه غير خافية ، ونظرا لأني عبد من أحقر خدم الدولة العلية فاني أرجو التفضل بالنظر الى شخصي الحقير بعين اللطف والمرحمة والاحسان على عبدكم بتشريفي بتوجيه هذا المنصب الي واظهارى به بين الاقران واني لاغتنم هذه الفرصة لعرض ما هو معلق برقبتي .

فعند ما يتشرف هذا المعروض بالوصول ان شاء الله تعالى وتتفضلون باحاطة علم (خديويتكم) ذات العلم والرأى ، بمضمونه ، فان الامر والفرمان واللطف والاحسان في هذا الشأن وفي كل حال ، منوط بحضرة صاحب الدولة والعناية والمروءة والمرحمة والعطوفة ولي النعم كثير اللطف والكرم سيدى وسلطاني .

في ١٥ جا سنة ١٢٢٢

الخاتم
العبد
سليمان
ميرميران

حضرة صاحب الدولة والعناية والمرحمة والعطوفة ولي النعم كثير الجود والكرم سيدى وسلطاني

اسأل خالق الكون من العدم أن يصون ذاتكم (الخديوية) من نوائب الدهر واخص نفسي بالدعاء سائلا اياه أن يجعل استظلالى بظل عنايتكم ومرحمتكم مقترنا بالدوام ٠٠ آمين ٠

هذا وقد سبق لي أن كتبت بالقلم عارضا ومنهيا أنني في حالة تمكني من السفر بنفسي من بغداد ، لاعداد وسائل القيام بمهمتي الواضحة أمامي ، ألا وهي التنكيل بالوهابي المبتدع ، فذلك نعم المطلوب ، ولن أتردد فيه٠أما اذا لم يكن ذهابي شخصيا في حيز الامكان ، بسبب الاستحالة والعجز عن تدبير الجند من حملة البنادق واللوازم الاخرى فسأعمل بالمثل القائل « ما لا يدرك كله لا يترك جله » ، ولن أتخلى عن ذلك لغيرى ، بل سأعد الوسائل اللازمة من الصناعات والجموع من أجل تدمير المخذول المزبور ٠

واذا كانت مصاعب الطريق ومحاذير عدم الامكان السابق ايضاحها قد حالت دون سفرى بالذات ، فقد تم اعداد جماعات من عشائر العراق ، ومن حملة البنادق ومن خواص أتباعي ومن زمرة فرسان (اللوند) ، وأركبوا ظهور الابل وأردفوا بعتادهم واحمالهم ، وهكذا رتبت الجموع ، وأعد ما يلزمها من القرب والعليق والمؤن ، وحملت على الجمال ، وارسلت الى الجهة المقصودة في السابع عشر من شهر شعبان ٠

وعلاوة على ذلك ، فان أحد رجال حاشية هذا الخادم سابقا ، المدعو الحاج عثمان وهو رجل مؤمن دين مسلم مخلص للدولة ، لما وقعت قضية مكة المكرمة كرمها الله الملك العلام ، فارت دماء شريان غيرته ودينه ، وأبدى رغبته في محو واعدام منشأ الفساد ومبدأ الشقاوة والعناد عبد العزيز بن سعود المبتدع وولده سعود ، بأي وجه كان ، طلبا لمرضاة الله تعالى ، ولما تفرست أن أبخرة هذه الرغبة البادية على وجهة المؤمن ، المتجمعة في ناصية حاله ، ستكون له مددا وقوة ، أقدمت على تحريضه واغرائه ، فكانت حوصلة جبلته مستعدة لتناول التوجيه ٠

ولما جزم وعزم على هذه النية الميمونة الباهرة ، عرضت عليه اكراما جزيلا واعددته له ولكنه أبي ذلك واكتفى بالكفاف من نفقة الطريق ، وسلك جادة فداء الروح، واتجه الىالجهة المقصودة ، ولما وصل الحاج عثمان السعيد النفس الى الدرعية مقر أولئك الاشتات كان يسعى كل يوم وراء ذينك اللذين يخزنان الشر والفساد ابتغاء الحصول على رأس مال أماله ، فلم يتمكن من الظفر بسعود بن عبد العزيز ، ولكنه ظفر بعبد العزيز في صلاة العصر ، واستمسك بالحبل المتين لقول الله تعالى : **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف**

عليهم ولا هم يحزنون) ، وهجم على سندان نار كيد الشر والنفاق ، ورئيس قافلة الفساد والشقاق ، وطعن جسد ضلاله بخنجر الانتقام ، فقتله وأعدمه ، وجرح أخاه عبد الله جرحا مهلكا ، ولما خارت قواه تكاثر أهل الشر والفساد ، على ذلك المؤمن المخلص في العناد ، فذاق رحيق الشهادة ، وصعدت روحه الى السماء العليين ترينها ·

وفي تاريخ هذا المعروض وصلت بشارتان خاصتان بهذا الخبر ، احداهما من عبد المحسن أخي شيخ المنتفق ، والاخرى من متسلم البصرة ، وقد قدمتا عينا لمقامكم العالى للتفضل بالقاء نظرة عليهما بعين عنايتكم ·

فحمدا ثم حمدا ، وهذا من فضل ربي ، ولا شبهة في أن ذلك مقتبس من يمن أنفاس ميامن حضرة السلطان · واذا كان سعود بن عبد العزيز هو القائد العام ، فان اعدام وازالة عبد العزيز الذى هو مبدأ الابتداع والاضلال ، ومدبر الامور والاحوال ، وكاهن الوقت والزمان ، سيكون مقدمة لتشتيتهم واضمحلالهم ان شاء الله تعالى ، كما يتضح ذلك من مقتضيات الحال ، وان محوهم واضمحلالهم نهائيا مأمول ومرجو من الالطاف والعناية الخفية الالهية ·

هذا وليكن قرين علمكم العالى أنه حينما تصلنا مستقبلا أخبار أو معلومات عن الجموع التي رتبناها وأرسلناها ، وعن أعمالنا الصناعية والمهنية ، فسوف نقدمها لمقام دولتكم بلا تأخير ، واني لاتخذ هذا المعروض المرسل سريعا وعاجلا في سياق التبشير وسيلة لعرض ما هو معلق برقبتي ·

والامر والفرمان واللطف والاحسان لحضرة صاحب الدولة والعناية والمروءة والمرحمة والعطوفة ولي النعم كثير الجود والكرم سيدى وسلطاني ·،

١٩ سنة ١٢١٨ خاتم

وتوج السلطان سليم الثالث هذه الوثيقة بالشرح التالي بخط يده :

« اطلعت عليها ، فالحمد لله تعالى ، وليقهر الحق تعالى جميع المخالفين » ·

تاريخ الوثيقة لم يوضح الشهر ، ولكن يفهم من سياق المعروض أن والى بغداد قد أرسل جموعه في ١٧ شعبان ، فيجوز ان يكون تاريخ الوثيقة ١٩ شعبان أو ١٩ رمضان ١٢١٨ · أما اغتيال الامام عبد العزيز فكان في أواخر رجب سنة ١٢١٨ ·

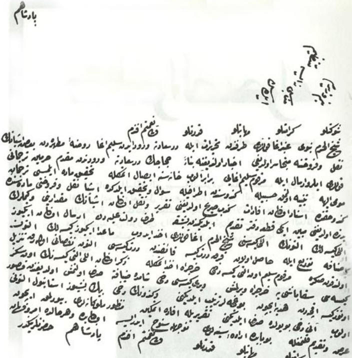

● ستضم الدارة مستقبلا الى جانب الوثائـــق المخطـوطه وثائـــق حيــه .